

التكامل بين العلوم وأثره في البناء التربوي: دراسة في فكر أبي حامد الغزالي

Integration of Sciences and Its Impact on Educational
Development: A Study in the Thought of Abu Hamid al-Ghazali

بدران بن لحسن *

مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر، قطر bbenlahcene@qu.edu.qa

تاريخ الإرسال: 2025/05/31 تاريخ القبول: 2025/09/16 تاريخ النشر: 2026/01/30

الملخص:

تهدف هذه الورقة إلى دراسة تجربة التكامل بين العلوم وأثره في البناء التربوي من خلال تناول تراث أبي حامد الغزالي، الذي يدل دلالة واضحة على وعيه بحاجة العلوم بعضها لبعض، وارتباطها ببعض، وتعاونها وتداخلها. وقد اعتمدت الورقة المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي الذي يستقرئ تراثه في الموضوع، ويقوم بتحليل نصوصه ومفاهيمه وأفكاره بطريقة نقدية.

وقد توصلت الورقة إلى مجموعة نتائج تدول حول محاور أربعة؛ أولها أن طبيعة بنية التكوين العلمي للغزالي وتجربته الحياتية تتجلى فيها التكاملية، وثانيها أن رؤيته لتكامل العلوم تتضمن مستويات متعددة (التكامل والتداخل والتقريب) كما تتضمن تكاملا داخليا وآخر خارجيا، وأما الثالثة فإن للتكامل المعرفي أثر على تراثه في المستوى النظري والتطبيقي الإصلاحي، وأخيرا فإن من آفاق الاستفادة من التكامل المعرفي عنده في البناء التربوي اليوم العناية ببنائنا التربوي منذ الصغر وفق مناهج تعليمية تكاملية تربط بين النظر والعمل، وأهمية توفير عناية مؤسسية بالتكامل المعرفي، وكذلك أهمية التكامل للخروج من التجزئية رؤية ومنهج تطبيقا.

الكلمات المفتاحية: الغزالي، التكامل؛ التكامل الخارجي؛ التكامل الداخلي؛ المناهج التربوية والتعليمية.

Abstract:

This paper aims to study the experience of the integration of sciences and its impact on educational development by examining the legacy of Abu Hamid al-Ghazali, whose works clearly reflect his awareness of the interdependence, interconnection, collaboration, and overlap among various branches of knowledge. The paper adopts a critical, analytical, and inductive methodology that explores his intellectual heritage on this topic and analyzes his texts, concepts, and ideas in a critical manner.

The paper arrives at a set of findings centered around four main themes. First, the nature of al-Ghazali's scientific formation and life experience demonstrates a clear integrative approach. Second, his vision of the integration of sciences includes multiple levels—such as integration, overlap, and approximation—as well as both internal and external forms of integration. Third, this epistemological integration significantly influenced his intellectual legacy on both theoretical and applied reformist levels. Finally, the prospects of benefiting from al-Ghazali's epistemological integration in contemporary educational development lie in cultivating integrative educational models from early childhood that connect theory with practice, emphasizing the need for institutional support for knowledge integration, and highlighting the importance of overcoming fragmentation in vision, methodology, and application.

Keywords: al-Ghazali, integration, external integration, internal integration, educational curricula.

مقدمة:

يعتبر التكامل المعرفي (التكامل بين العلوم) مفهوماً ومبحثاً جديداً من حيث التسمية، ولم يتم تداوله بين العلماء المسلمين في تاريخهم الفكري المبكر، غير أنه في مستوى الممارسة، فإن هناك

عدد من الشواهد تدل على أن مضمون هذا المفهوم يستمد أصالته من التقاليد الفكرية الإسلامية المبكرة. ذلك أن العلوم التي نشأت في ظل الحضارة الإسلامية نابعة من الرؤية الإسلامية للكون والحياة، ومستمدة خلفيتها الفلسفية ومنهجيتها من التوحيد رؤية ومبدأ للمعرفة والقيم والاجتماع كما هو مبدأ للاعتقاد.

وهذا التكامل بين العلوم في تراثنا العربي الإسلامي استرعى انتباه الباحثين، وجعلهم يسعون إلى معرفة أسبابه، ودواعيه، ونتائجه، ويقرون في نفس الوقت، بأن التداخلية بين العلوم، كانت من أبرز الخصائص المميزة، للعلوم في التراث العربي الإسلامي، وأنها وصف علمي لا يمكن التنكر له أو التغاضي عنه. فعندما نطلع على كتب التراث مثل التراجم والطبقات، وكتب إحصاء وتصنيف وترتيب العلوم، نكتشف كيف تتداخل حقول المعرفة العربية الإسلامية بشكل واضح. كما ندرك الطابع الموسوعي لعلماء العرب والمسلمين، حيث يكاد يكون العالم الذي يختص في مجال واحد فقط نادرًا جدًا. بالعكس، ستجد أن العلماء يتمتعون بمعرفة شاملة في تخصصات متعددة، ويستخدمون تلك المعرفة من تخصصات متعددة في مباحثهم وكتاباتهم.

ولكن الإشكالية التي نواجهها اليوم هي أن عطاء المعرفة العربية الإسلامية اليوم، وبخاصة في حقل العلوم الشرعية، يعاني من جمود لأسباب عديدة؛ لعل أهمها أن هذه العلوم فقدت الاستهداء بتجارها التاريخية في التكامل المعرفي، وانغلقت على طرائق تدريس لا تناسب أصالتها وثرائها وتجدها، كما استعارت طرائق من المعرفة المعاصرة أفقدتها أصالتها ولم تحقق لها فعاليتها المعهودة.، كما انغلقت داخل حدود ضيقة، وتحولت إلى انساق اعتقادية مغلقة لعدم استفادتها استفادة نقدية من حقول المعرفة المعاصرة.

ولذلك، فإن بث الحيوية فيها يقتضي انفتاحها على الحقول المعرفية المجاورة أو البعيدة، خاصة على العلوم الإنسانية والاجتماعية، مما يزود حقل العلوم الإسلامية (الشرعية خاصة) بآليات جديدة ومناهج جديدة، ويربطها بحركية المعرفة المعاصرة، ويسهم في تفعيلها، باعتبار أن العلوم الشرعية مركزية في وعي المسلم وحياته وعمرانه، مما يجعل عملية الانفتاح على مختلف العلوم أمراً بالغ الضرورة لتستعيد العلوم الشرعية دورها في قيادة الحياة.

وفي هذا السياق تسعى هذه الورقة إلى استدعاء نقدي لتراثنا العلمي، من خلال تناول تراث أبي حامد الغزالي، الذي يدل دلالة واضحة على وعيه بحاجة العلوم بعضها لبعض، وارتباطها ببعض، وتعاونها وتداخلها. وإن المطلع على سيرة أبي حامد الغزالي وإنتاجه العلمي والفكري يجد أنه عالج مسألة تكامل العلوم تكاملاً بنائياً، من حيث بنية المعرفة وتداخل حقولها، وارتباطها ببعضها البعض. ولا أدل على ذلك من تجربته الذاتية وتقلبه في مختلف مجالات العلم والعمل، وكذلك كتابته وريادته في حقول معرفية متنوعة جمعت بين العلوم النقلية والعقلية بتفرعاتهما المختلفة. مما يجعل تجربته مهمة جداً في تطوير حقول المعرفة الإسلامية في زماننا، من أجل بناء مناهج تربوية تحقق نخضة أمتنا في عالمها اليوم.

وستتناول هذه الورقة موضوعها من خلال اعتماد منهج استقرائي تحليلي نقدي يستقرئ تراث أبي حامد الغزالي في الموضوع، ويقوم بتحليل نصوصه ومفاهيمه وأفكاره بطريقة نقدية.

وستحاول هذه الورقة طرح الأسئلة التالية:

- ما طبيعة بنية التكوين العلمي لأبي حامد الغزالي وتجربته الحياتية؟
- ما هي رؤية الغزالي لتكامل العلوم (التكامل والتداخل والتقريب).
- ما أثر التكامل المعرفي على تراث أبي حامد الغزالي؟
- ما هي آفاق الاستفادة من التكامل المعرفي عند أبي الغزالي في البناء التربوي اليوم.

1. بنية التكوين العلمي لأبي حامد الغزالي وتجربته الحياتية

عرف عن أبي حامد الغزالي أنه شخصية متميزة، حتى وصفه ابن كثير بأنه "كان من أذكى العالم في كل ما يتكلم به"¹، كما وصف بأنه "حجة الإسلام والمسلمين إمام أئمة الدين من لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً وذكاءً وطبعاً"². وحينما ترجم له الذهبي قال فيه أنه

"الشَّيْخُ، الإِمَامُ، الْبَحْرُ، حَجَّةُ الْإِسْلَامِ، أَعْجوبةُ الزَّمانِ، زَيْنُ الدِّينِ ... صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، وَالذِّكَاؤِ الْمَفْرُطِ".³

فهذه الخصال التي ذكرها الذهبي وهذا المقام الرفيع، كان ثمرة لتعلم منظم على يد معلم حاذق هو الامام الجويني، يقول الذهبي: "تَفَقَّهَ بِبَلَدِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى نَيْسَابُورَ فِي مُرَافَقَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الطَّلَبَةِ، فَلَازَمَ إِمَامَ الْحَرَمَيْنِ، فَبَرَعَ فِي الْفِقْهِ فِي مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ، وَمَهَّرَ فِي الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ، حَتَّى صَارَ عَيْنَ الْمُنَاطَرَيْنِ، وَأَعَادَ لِلطَّلَبَةِ، وَشَرَعَ فِي التَّصْنِيفِ"⁴. فقد نضجت ملكته العلمية على يد هذا المعلم الحاذق.

ولكن هنا من انتبه لقيمتة وملكاته ومهاراته، وهو رجل سياسة حكيم هو نظام الملك. يقول الذهبي في ذلك: "فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ نِظَامُ الْمَلِكِ الْوَزِيرَ، وَسَرَّ بِوُجُودِهِ، وَنَاطَرَ الْكِبَارَ بِحَضْرَتِهِ، فَأَنْبَهَرَ لَهُ، وَشَاعَ أَمْرُهُ، فَوَلَّاهُ النِّظَامَ تَدْرِيسَ نِظَامِيَّةِ بَغْدَادَ، فَقَدَّمَهَا بَعْدَ الثَّمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَسَنَهُ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ، وَأَخَذَ فِي تَأْلِيفِ الْأُصُولِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ وَالْحِكْمَةِ"⁵.

ويبدو أن التقاء المعلم الحاذق الخبير والمربي الكبير الإمام الجويني، مع صانع السياسة ورجل الدولة نظام الملك، كان سبباً مهماً من أسباب التكوين العلمي الذي تلقاه الغزالي، حتى نضج وبرع في علوم عديدة، وتولى الجمع بين التأليف والتدريس، مما صقل مهاراته ومعارفه وجعل يدرك امتدادات حقول المعرفة وتداخلها وضرورة تكاملها.

فهذه الصفات التي ذكرها من أرّخ له، تعد ثمرة لتكوين علمي متعدد الأوجه. فالغزالي تعلم في نيسابور حيث كانت حاضرة من حواضر العلم في عصره، وتلقى التعليم على يدي الإمام الجويني، ولازم مجالس العلم في نيسابور في العهد السلجوقي، ودخل في مناظرات، وتولى التدريس في نظامية بغداد. وهذه كلها صقلت قريحته وأثرت تجربته العلمية وعدّدت مصادر تلقيه لمختلف حقول المعرفة التي كانت في عصره.⁶

ولكن هناك ميزة مهمة ذكرها الذهبي تدل على عظمة نفس الغزالي وتطلعه إلى ما وراء الدنيا؛ إلى الدار الآخرة. يقول الذهبي: "وَعَظُمَ جَاءُ الرَّجُلِ، وَازْدَادَتْ حِشْمَتُهُ، بِحَيْثُ إِنَّهُ فِي دَسْتِ أَمِيرٍ،

وَفِي رُتْبَةِ رَئِيسٍ كَبِيرٍ، فَأَدَّاهُ نَظْرُهُ فِي الْعُلُومِ، وَمُتَمَارِسَتُهُ لِأَقَانِينِ الزُّهْدِيَّاتِ إِلَى رَفْضِ الرِّئَاسَةِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّائُلُّهُ، وَالْإِخْلَاصِ، وَإِصْلَاحِ النَّفْسِ"⁷.

فالغزالي حسب كلام الذهبي، ترك الدنيا وتخلّى عنها رغبة وليس لعدم تمكنه منها. لأنه وصل إلى أعلى المراتب العلمية، والجاه، والسلطة العلمية، والحظوة السلطانية. ولكن نظره في العلوم وممارساته العلمية والتدريسية كشفوا له أن هناك بعداً آخر أعلى وأسمى من المراتب الدنيوية، ولهذا سعى على تركية نفسه وتعميق رياضتها وتربيتها. ولعل هذا ما جعله يصحب بعض كبار الصوفية والمربين في زمانه، ويكتب كتاب "الإحياء". فبعد رفضه للمناصب، يقول الذهبي: "فَحَجَّ مِنْ وَقْتِهِ، وَزَارَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ، وَصَحِبَ الْفَقِيهَ نَصْرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بِدِمَشْقَ، وَأَقَامَ مُدَّةً، وَأَلَّفَ كِتَابَ (الإحياء)، وَكِتَابَ (الأربعين)، وَكِتَابَ (القسطاس)، وَكِتَابَ (مَحْكُ النَّظَرِ)، وَرَاضَ نَفْسَهُ وَجَاهِدَهَا، وَطَرَدَ شَيْطَانَ الرُّعُونَةِ، وَلَبَسَ زِيَّ الْأَتْقِيَاءِ، ثُمَّ بَعْدَ سَنَوَاتٍ سَارَ إِلَى وَطَنِهِ، لِأَزْمًا لِسَنَنِهِ، حَافِظًا لِقَوْتِهِ، مُكَبِّبًا عَلَى الْعِلْمِ"⁸.

ونلاحظ أن الغزالي، بعد أن ترك المناصب السلطانية التي عينه فيها نظام الملك، لم ينقطع عن العلم والتأليف، بل استمر في الكتابة، ولكن هذه المرة ليس في الفقه والكلام وأصول الفقه، بل في التزكية والتربية والمنهج، كما تدل عناوين ومضامين الكتب التي ذكرناها في النص الانفي الذكر الوارد عن الذهبي. بل أن تجربته العلمية والتدريسية، وبعد أن برع في علوم كثيرة توصل إلى أمر بالغ الأهمية، وهو ضرورة ارتباط البحث النظري بالعمل، وارتباط العلم بالتزكية، لتحقيق الحياة الطيبة. يقول الذهبي حكاية عن بعض من عرفه: "وَحَكَى لَنَا فِي لَيْلٍ كَيْفِيَّةَ أَحْوَالِهِ مِنْ ابْتِدَاءِ مَا أَظْهَرَ لَهُ طَرِيقَ التَّائُلُّهِ، وَغَلَبَةَ الْحَالِ عَلَيْهِ بَعْدَ تَبَحُّرِهِ فِي الْعُلُومِ ... وَالِاسْتِعْدَادِ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ فِي تَحْصِيلِ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَتَمَكُّنِهِ مِنَ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ، حَتَّى تَبَرَّمَ بِالِاشْتِغَالِ بِالْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ عَنِ الْمَعَامَلَةِ، وَتَفَكَّرَ فِي الْعَاقِبَةِ، وَمَا يَبْقَى فِي الْآخِرَةِ"⁹. فكان الغزالي رأى أن من تمام العلم العمل، وأنه لا ينبغي أن يشتغل بالعلوم التي ليس فيها عمل.

والغزالي في هذا يسلك نهج من سبقه ومن لحقه من رواد المعرفة الإسلامية في الالتزام بمبدأ قامت عليه الحضارة الإسلامية، وهو مبدأ ارتباط العلم بالعمل، أو مبدأ "اقتضاء العلم العمل"¹⁰،

أو "تلازم العلم والعمل"، أو "اقتران العلم بالعمل"، أو "مبدأ العلم المستعمل". وهذا المبدأ القرآني قامت عليه الحضارة الإسلامية، ويمثل أحد المبادئ الكبرى التي تسري في مختلف منجزات هذه الحضارة، لا سيما الجانب العلمي. حيث أن العلم في الحضارة الإسلامية، استرشادا بالقرآن، ليس عملاً تأملياً منعزلاً عن الحياة، ولا هو ترف فكري، ولكنه تأسيس بصير للدخول في العمل بمعناه الواسع؛ عمل القلب والجوارح.¹¹

ومن جهة أخرى، فقد عاش الامام الغزالي زمن انتشار وتوسع المدارس العلمية والفكرية والفقهية والكلامية والفلسفية في الحضارة الإسلامية، وكذلك عاش الصراعات السياسية والعقدية التي كادت تعصف بالعالم الإسلامي حينئذ، وخاصة على يدي الباطنية الذين وظفوا الفلسفة الباطنية للتشكيك في عقائد أهل السنة، واستعملوا الاغتيالات للقضاء على رموز العلم والحكم والقيادة السنية¹²، مما جعل فكر الغزالي مزيجاً تركيبياً تكاملياً من عدة حقول معرفية وتخصصات علمية تجمع بين العلوم النقلية والعلوم العقلية، مما أهله ليكون أحد كبار واضعي التكامل المعرفي إنتاجاً معرفياً وتطبيقاً تربوياً.

وهذا ما جعل الغزالي يولي عناية كبيرة بمختلف حقول المعرفة، لإدراكه ضرورة الإمام بعدة حقول معرفية من أجل مواجهة ذلك الواقع المعقد والصراع الفكري في زمانه. ولذلك برز وكان رائداً في الفلسفة والفقه والكلام والتربية والتزكية وغيرها. بل وكان له عناية بتصنيف حقول المعرفة التي كانت في زمانه ووضعها في مجموعات أو حقول بناء على قيمتها النظرية وأهميتها العملية وكذلك بناء على انصوائها تحت الواجب العيني أم الواجب الكفائي.¹³

ولذلك أيضاً فإنك "تنظرُ في قائمة علماء الفقه، فتجد اسمه مستقراً في قلبها، وتلتفت إلى قائمة علماء الأصول، أي (قواعد تفسير النصوص) وإذا اسمه يلتمع في علاها، وتتأمل قائمة علماء الفلسفة الإسلاميين، فإذا اسمه هو أول الأسماء فيها، وتنتقل إلى قائمة علماء الكلام فتجده مستقراً في مقدمتها، ثم تنظر علماء التربية والتصوف، فإذا هو يتبوأ مركز الصدارة فيها. وتتحول إلى قائمة علماء النفس فإذا اسمه قد سبق أيضاً إليها".¹⁴

وبالرغم من أن بعض من قرأ الغزالي قراءة اختزالية اعتبره خصما للفلسفة والعلوم والمنطق، فإن المحقق في نص الغزالي يجد أنه في مختلف إنتاجه العلمي كان يمثل "نسقا علميا ساهم بلا شك في إعادة تموضع عدد من العلوم، وترتيب أولويات المعرفة الإسلامية. وهو مازال يمثل أكبر الفائدة المنهجية للفكر الإسلامي المعاصر، نسقية عكسها إنتاج أبي حامد في تاريخ المعرفة"¹⁵.

وفي نص معبر عن شخصية الغزالي، ينقل سليمان دنيا نصا يصف الغزالي منسوباً للشيخ المراغي يقول فيه: "إذا ذكرت أسماء العلماء اتجه الفكر إلى ما امتازوا بهمن فروع العلم وشعب المعرفة، فإذا ذكر ابن سينا أو الفارابي خطر بالبال فيلسوفان عظيمان من فلاسفة الإسلام، وإذا ذكر ابن عربي خطر بالبال رجل صوفي له آراء في التصوف لها خطرهما، وإذا ذكر البخاري ومسلم وأحمد خطر بالبال رجال لهم أقدارهم في الحفظ والصدق والأمانة والدقة ومعرفة الرجال. أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر بالبال رجل واحد بل رجال متعدّدون لكل واحد قدره وقيّمته".¹⁶

ويعلّل ذلك بأنه يخطر بالبال "الغزالي الأصولي الحاذق الماهر، والغزالي الفقيه الحر، والغزالي المتكلم إمام السنة وحامي حماها، والغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العالم وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب، والغزالي الفيلسوف، أو الذي ناهض الفلسفة وكشف عما فيها من زخرف وزيف، والغزالي المربي، والغزالي الصوفي الزاهد".¹⁷

فتعدد جوانب شخصية الغزالي ثمرة لذلك التكوين العلمي المتكامل الذي تلقاه منذ صغيره، في حقول معرفية تشمل المنقول والمعقول، إضافة على ممارسته للتعليم، والمناظرة، والتأليف، ومواجهته لمشكلات مجتمعه العقديّة والنفسية والسياسية والفكرية والاجتماعية، مما جعله ينتج في مختلف هذه الحقول المعرفية، ويشكل في جل إنتاجه وعمله نسقا تكامليا.

ويعبر عن تنوع خبرته المعرفية وتكامل جوانب شخصيته الفيومي فيقول: "فهو فقيه وأصولي بارع عندما تقرأ له الفقه والأصول، ومتكلم عندما تقرأ الاقتصاد في الاعتقاد وقواعد العقائد، وفيلسوف متحرر عندما تطالع له مقاصد الفلاسفة والتهافت، وصوفي كبير عاجل التصوف بمنطق

القرآن والسنة في كتابه المنقذ من الضلال، وإمام مجدد عندما تقرأ له كتابه الضخم إحياء علوم الدين، وأديب فحل تميز بأسلوب السلاسة والوضوح".¹⁸

ولهذا فلا يمكن التشكيك في علو مكانته في مجال المعرفة، ورسوخ قدمه فيها، وتميزه في الفقه والكلام والفلسفة والتصوف وعلم النفس، كما كان مربيا عالما بالنفس البشرية وخفاياها، متأملا فعاليتها وأحوالها، محملا بارعا للسلوك وخلجات الضمير.¹⁹

فتجربته العلمية تكوينا وتدرسا وتأليفا، وانخراطه في معالجة قضايا ومشكلات مجتمعه ومرحلته التاريخية، مكّنه من ان يبرع في مختلف العلوم والحقول العلمية المذكورة، ولا يكتفي بها، بل يربطها بالجانب العملي الواقعي.

عن التحليل السابق لبنية التكوين المعرفي لأبي حامد الغزالي وتجربته الحياتية تبين أن الغزالي كان متعدد المشارب العلمية، حيث أن تكوينه العلمي شمل معارف متعددة في علوم المنقول وعلوم المعقول فهو تلقى تعليمه الأولي في نيسابور على يدي معلمين كثر وعلى رأسهم الامام الجويني، فدرس عليه علم الفقه وأصول الفقه والكلام وعلوم الشريعة في وقته، ودرس الفلسفة وفروعها من إلهيات وطبيعيات ومنطق، حتى صار فيها مبرزاً فاق أقرانه، ومُدْرَساً لها في نظامية نيسابور وبغداد. لكنه من جهة أخرى سلط طريق التصوف والتزكية مما جعله يخوض تجربة حياتية في البحث عن الحقيقة في سياق اجتماعي كان يمحج بأفكار متعددة وتجارب مختلفة، وقد دون ذلك في كتابه (المنقذ من الضلال)؛ الذي تتجلى فيها تجربته في التعلم والتعرف على مختلف العلوم، وخوض تجربة عملية في سلوك طريق القوم، أوصله إلى ان يبيّن تصوره لحقول المعرفة بطريقة تشكل عنده خارطة لكل المعارف في زمانه، ساعدته في صياغة أفكاره بتكامل وتداخل بين حقول المعرفة.

وهذا يحيلنا إلى القول إن تجربة الغزالي تمثل درسا مهما لنا اليوم في تحقيق التكامل المعرفي، بأن نبدأ بصياغة شخصية المتعلم من البداية، وأن نجتمع بين التكوين النظري المنفتح على مختلف العلوم الأساسية، وبين بناء التجربة الحياتية التطبيقية المرتبطة بمجتمعه. أو بعبارة أخرى؛ فإن تحقيق التكامل المعرفي يقتضي بناء شخصية الباحث/ العالم بناء تكامليا، تحضر فيه مختلف العلوم التي

تؤهله لذلك، مع ربط التكوين العلمي بسياق المجتمع ومشكلاته وقضاياها وتطلعاته. حتى لا يتشكل وعي الباحث/ العالم مغتربا عن واقعه أو جاهلا بسقف المعرفة التي ينتمي إلى حقلها أو حقوقها. وبدون بناء معرفي متكامل للعالم نفسه أو الباحث، فإنه لا يستطيع أن يقود عملية التكامل؛ سواء في البحث العلمي أو في تدريس المادة العلمية أو في مباشرة عملية الإصلاح في الواقع على أسس تكاملية.

ومن جهة أخرى، فإن مشاركة الغزالي في حقول معرفية متعددة، وإتقانه لها، وبخاصة الفقه وأصول الفقه والكلام والفلسفة والتصوف هي التي جعلت لإسهامه العلمي حجية وأهمية لدى من جاء بعده، مما يجعل التكامل مبنيا على إتقان التخصص. أو بعبارة أخرى؛ التكامل التربوي والمعرفي الذي نريده اليوم لا يمكن أن يتحقق دون أن يكون هناك عناية بالتخصص، فالتكامل لا يتحقق دون تعمق في التخصص، فإن الغزالي ما كان له أن يقول في مختلف تلك الحقول المعرفية دون أن يكون فيها من المختصين. بمعنى أن التكاملية هي ثمرة للتعمق في التخصص، وللانفتاح على حقول معرفية متجاوزة. حتى لا تبقى معرفة سطحية، بل معرفة متخصصة مدججة في نسق واحد تتكامل فيه المعارف وتثمر حلولاً تراعي الأوجه المختلفة للموضوع.

ولهذا فإن كثيرا من دعاوى التكامل المعرفي التي نراها اليوم تهددها مشكلتان؛ المشكلة الأولى هي مشكلة عدم إتقان التخصص الذي ينطلق منه الساعي إلى التكامل، وهذا يقوده إلى معرفة سطحية مجتزأة تؤدي إلى ضياع التخصص ذاته. أما المشكلة الثانية فهي وقوف التكامل عند الدعوى النظرية دون الممارسة العملية، وهذا شأن كثير من دعاوى التكامل اليوم، حيث تغيب عنها التجارب العملية التطبيقية في المضمون والمنهج والتطبيقات. ولعل تجربة الغزالي التعليمية والتدريسية وإتقانه لتخصصاته التي برز فيها، وممارسته التربوية، تجعل من تجربته درسا مهما لنا في صياغة مناهجنا التربوية على الجمع بين التأطير النظري للتكامل التربوي وبين الممارسة العملية التطبيقية في التدريس وصياغة المناهج وفي إجراء البحوث التكاملية التي تجمع بين أكثر من حقل معرفي واحد.

ومن جهة أخرى فإن التكوين العلمي للغزالي والسياق الذي أنتج فيه يعطينا درسا مهما في أهمية المؤسسات في تحقيق التكامل وفي بناء العلماء ذوي التكوين التكاملي، وإن لا يكون الأمر خاضعا فقط للاستعدادات الفردية للعالم أو الشخص الساعي إلى تحقيق التكامل.

فالملاحظ على تجربة الغزالي التعليمية والحياتية يستنتج أن التكامل التربوي تسهم فيه جهتان؛ أولاهما الجهة العلمية التي تتكون من خبراء من تخصصات علمية مختلفة يتقنون تخصصاتهم (كما في حالة الجويني وغيره ممن تربى على يديه الغزالي)، وثانيهما الجهة المؤسسية (كما في حالة الوزير نظام الملك والمدرسة النظامية) التي توفر السياسات والأطر والمؤسسات والتمويل وتضع الرؤية البعيدة المدى التي تحقق التكامل، ويتحول إلى عمل مؤسسي وليس جهدا فرديا.

ولذلك فإن تجربة التكامل التربوي والعلمي في جامعاتنا ومناهجنا التربوية اليوم لا بد أن تتطافر عليها جهود رسمية مؤسسية وإن يكون صانع القرار طرفا فيها لتعطى عملية التكامل بعدا مؤسسيا محميا قانونيا واجتماعيا وإداريا. هذا إضافة إلى وجود خبراء في تخصصاتهم ولهم قدرة على الدخول في مشاريع تعليمية وتربوية وبحثية تكاملية.

2. رؤية الغزالي لتكامل العلوم (التكامل والتداخل والتقريب)

إن ما أورده سابقا عن سيرة الغزالي العلمية وطبيعة تكوينه وجمعه بين المنقول والمعقول، وبين حقول المعرفة الإسلامية وبين علوم الأوائل، وانخراطه في التدريس والإصلاح، نستطيع أن نبني عليه ونقول إن الغزالي، من الناحية المعرفية، قد قام بعملية تقريب لحقول معرفية خارج حقل المعرفة الإسلامية وأدرجها ضمن العلوم الإسلامية كما فعل مع المنطق وجعله آلة النظر²⁰. لكنه أيضا تدخلت عنده حقول المعرفة في التأليف الواحد ولم يكتف، عند النظر والتأليف، بوجه واحد بل وظف العلوم متداخلة في مستوى الموضوعات والمناهج والمفاهيم والمصطلحات، مما جعله يحقق نوعا من التكامل بينها، ويبيّن ذلك النسق المعرفي المتكامل بين تلك الحقول، جعل الغزالي حاضرا في كل منها.

ولا يزعم هذا البحث أن الغزالي متفرد في أعمال هذه الآليات (التقريب والتداخل والتكامل) عن غيره من علماء المسلمين الذين سبقوا في تراثنا العلمي الإسلامي، ولكنه يمثل أحد رواد ذلك. ذلك أن المتتبع لتاريخ المعرفة الإسلامية وحقوقها المتعددة وتطورها التاريخي، يكتشف أن التداخل كان قائما بين العلوم والمعارف. بل كان سمة بارزة في جميع العلوم التي نشأت وتطورت، في ظل الثقافة العربية الإسلامية.

وهذا التداخل بين العلوم في تراثنا العربي الإسلامي من أبرز الخصائص المميزة، للعلوم في التراث العربي الإسلامي، ووصف علمي لا يمكن التناكر له أو التغاضي عنه²¹. فعندما نطلع على كتب التراث مثل التراجم والطبقات، وكتب إحصاء وتصنيف وترتيب العلوم، نكتشف كيف تتداخل حقول المعرفة العربية الإسلامية بشكل واضح. كما ندرك الطابع الموسوعي لعلماء العرب والمسلمين، حيث يكاد يكون العالم الذي يختص في مجال واحد فقط نادراً جداً. بالعكس، ستجد أن العلماء يتمتعون بمعرفة شاملة في تخصصات متعددة، ويستخدمونها تلك المعرفة من تخصصات متعددة في مباحثهم وكتاباتهم²².

وهذا ابن حزم يؤكد التداخل بين العلوم، ويعبر عن ذلك بتعلق العلوم ببعضها، وحاجتها لبعضها، فيقول: "فالعلوم كلها متعلق بعضها ببعض كما يبيننا قبل، محتاج بعضها إلى بعض"²³. وهذا التداخل "يحصل للنصوص والمعارف، بحيث تتعالق وتنفخ على بعضها ... بغرض الإخصاب والإثراء والإحياء"²⁴.

أما الغزالي فقد اشتغل على تقريب علوم الأوائل وإدراجها ضمن حقول المعرفة الإسلامية، وبخاصة المنطق. وقد تمكن - كما يقول طه عبد الرحمن - من تقريب علم المنطق من الناحية التصورية الوجودية (العقدية) بناء على "التشغيل" بدل "التعطيل"، وتوصل في ذلك بثلاث آليات؛ أولاها، "التحييد العلمي" بمقتضى قاعدة الاختيار، فرفع عن المنطق تهمة الإضرار بالعقيدة، وزيف اعتراضات ودعاوي المنكرين، والثانية، "التأسيس القرآني" بمقتضى قاعدة الائتمار، فجعل للاستدلالات المنطقية أصولاً راسخة في الوحي وراجعة إلى العهود الأولى من نزول الرسائل الإلهية، والثالثة، "التأسيس الفقهي" بتأسيس المنطق على الفقه بمقتضى عمليات ثلاث هي "إبدال

المصطلحات الفقهية مكان المصطلحات المنطقية" و"إيراد الأمثلة الفقهية" و"ردّ الموازين العقلية للاستدلالات الفقهية".²⁵

والأمر نفسه يقال عن التكامل المعرفي، الذي يعني إتمام العلوم بعضها لبعض، حتى تحصل المعرفة بالشيء معرفة في صورة أتم وأكمل وأشمل. ومن هنا، فإن مفهوم التكامل المعرفي، وبالرغم من أنه مصطلح لم يتم تداوله بين العلماء المسلمين في تاريخهم الفكري المبكر، فإن هناك عدد من الشواهد تدل على أن مضمون هذا المفهوم يستمد أصالته من التقاليد الإسلامية الفكرية المبكرة.²⁶

وهناك نماذج كثيرة من العلماء الذين حققوا هذا التكامل بين العلوم. وبالرغم من كثرة العلوم وتشعبها فإن كثيراً من العلماء حققوا بينها تكاملاً علمياً منهجياً، وجمعوا أجزاءها وضبطوا كلياتها. ولعل قول ابن حزم: "ومن اقتصر على علمٍ واحدٍ لم يطالع غيره؛ أوشك أن يكون ضحكة وكان ما خفي عليه من علمه الذي اقتصر عليه، أكثر مما أدرك منه لتعليق العلوم بعضها ببعض"، يؤكد أن الوعي بفكرة التكامل كان موجوداً عند رواد التراث العلمي الإسلامي.²⁷

كما أن لأبي حامد الغزالي نص يدل دلالة واضحة على حاجة العلوم بعضها لبعض، وارتباطها ببعض، وتعاونها وتداخلها. يقول الغزالي: "على المتعلم ألا يدع فناً من فنون العلم، ونوعاً من أنواعه، إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على غايته ومقصده وطريقه. ثم إن ساعده العمر وواتته الأسباب طلب التبحر فيه، فإن العلوم كلها متعاونة مترابطة بعضها ببعض، ويستفيد منه في الحال حتى لا يكون معادياً لذلك العلم بسبب جهله به".²⁸

فهذا الارتباط بين العلوم وتداخلها وتكميل بعضها لبعض، جعل أبا حامد الغزالي، عند وضعه لمنهجيات التعلم وآدابه، يرى أن على المتعلم الالتزام بمجموعة وظائف أو مسؤوليات، إحداها ما يتعلق بتوسيع مداركه إلى أكثر من حقل معرفي واحد، والاجتهاد فيه إلى درجة الإحاطة بأساسياته والتعمق في أعلى غاياته وفهم موضوعه ومنهجه ومصطلحاته. يقول الغزالي: "الوظيفة الخامسة: أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحموده ولا نوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على

مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض، ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله؛ فإن الناس أعداء ما جهلوا. قال تعالى (وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) (الأحقاف: 11)²⁹.

ومما يفيد في الاطلاع على الحقول المعرفية الأخرى أن الانسان يدرك بها امتدادات الحقيقة خارج مجال تخصصه، ويعرف زوايا نظر أخرى توسع مداركه، وتفيده في حل مشكلات نظرية وعملية، وتفيده أيضا بالالتزام بأداب العلم وهو ان يعي الانسان حدود علمه وسعة جهله، فلا يشنع على الآخرين في حقول معرفية أخرى ولا يحط من شأنها.

ومن جهة أخرى، فإن هذه الوظيفة في الاطلاع على العلوم من طالب العلم، تؤدي إلى ثمة منهجية وتربوية أخرى، وهي اتساع الرؤية لمجالات العلوم المتعددة وترابطيتها وتقسيماتها من حيث قيمتها، ومن حيث مجالها، ومن حيث عينيته أم كفائيتها. يقول الغزالي: "اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة".³⁰

إن تجربة الغزالي في تكامل العلوم تجربة ثرية لم يخضع فيها الغزالي العلوم الشرعية لمنطق العلوم العقلية، ولا نفى أهمية العلوم العقلية لحساب العلوم الشرعية، بل تنوعت أساليب تكامله بين العلوم بما يمكن تسميته "مناقفة إيجابية" تجعل العلوم تستثمر من بعضها البعض وتثري بعضها بعضا. فنرى عنده التكامل وأوجهه الأخرى كالتداخل والتقريب وغيرها. مما يجعلنا نقول إن التكامل عند الغزالي ليس على وجه واحد، بل ينطلق من رؤية للعالم تجعل من الإسلام الحقيقة المطلقة ومن التجربة البشرية مصدرا للتلقي النقدي، كما يخضع لطبيعة كل علم في اتصاله بالعلوم الأخرى، وكذلك يخضع لفائدة العلم المقصود.

وهذا يعطينا اليوم درسا مهما في أن عملية التكامل تقوم على عملية ثقافية إيجابية؛ وخاصة التكامل المعرفي مع العلوم من خارج دائرة المعرفة الإسلامية في مصدرها ومنهجها وغاياتها. وهذه الثقافة الإيجابية عليها أن تتوسل إلى التكامل وهي مدركة للمنطلقات الوجودية التصورية، ولخصائص الثقافة الإسلامية، وغاياتها. حتى لا يقع في اغتراب مزدوج عن المعرفة الإسلامية أو المعرفة المتكامل معها، وبخاصة المعرفة المعاصرة التي تشكلت في بناها النظرية ومنهجها ومفاهيمها ومجالاتها في سياق حضاري غير إسلامي.

ويمكن تلخيص ما قلناه في الفقرات السابقة بقولنا إن التكامل المعرفي مساران؛ أحدهما التكامل الداخلي بين حقول المعرفة الإسلامية التي تنطلق من التصور التوحيدي، ولكن تختلف فيما بينها في موضوعاتها ومنهجها ومفاهيمها، وتحتاج على التكامل بينها خروجاً من النظر التجزيئي. أما المسار الآخر فهو المسار التكاملي الخارجي بين حقول المعرفة الإسلامية وبين العلوم المعاصرة التي تشكلت في سياق حضاري وفلسفي واجتماعي مختلف. وهذا المسار يحتاج إلى جهد مضاعف يعمل على توطيد المعارف المعاصرة ضمن حقول المعرفة الإسلامية، وذلك يكون بوضع معايير/مقاييس واضحة تجعل المسلمين يفتحون انفتاحاً نقدياً على المعرفة المعاصرة، ولكن مع إخضاعها لمنطق الحقيقة الإسلامية ولحاجات مجتمعاتنا الواقعية. حتى لا نقع في الاغتراب مرة أخرى، ولا نبقى في تبعية لفلسفة العلم والتربية الحديثة، التي أفرغت الإنسان من معانيه الإيمانية، واختزلت العلم في توجهات معينة برؤية طبيعية مادية تفتقد للمركز التصوري الكلي الذي يحقق العلم كما وصفه القرآن وتفتقد للتوجه على تحقيق الحياة الطيبة. ومن جهة أخرى فإن الوقوع فإن عدم التمييز بين مسار التكامل الداخلي وبين التكامل الخارجي، يجعلنا نتجاهل سياقاتنا الاجتماعية، ونكتفي بنقل المشكلات والحلول كما هي عند غيرنا، دون أن تكون لها تهيئة أو توطيد يحقق حلولاً ناجعة لقضايا امتنا في زمنها اليوم.

3. أثر التكامل المعرفي على تراث أبي حامد الغزالي

إن ما أوردناه في التعريف بشخصية الغزالي وتنوع مجالات اشتغاله العلمي والاجتماعي، وكذلك وعيه بالتكامل واشتغاله به في مؤلفاته تقريبا وتداخلا وتكاملا، يدل عليه تراثه العلمي. ونلاحظ

أن الغزالي بما توفر لديه من اطلاع إلى درجة الخبرة بموضوعاته العلمية، وممارسة عملية لدرجة الخبرة الميدانية، جعله يتميز بالعمق والاتقان، "وذلك لأن اتساع باعه في ميادين العلوم المختلفة، إلى درجة العمق والإتقان لكل منها، يسّر له دعم آرائه وأفكاره، أيًا كانت، بالحجة العلمية المقنعة".³¹

وهذا ما سماه كمال القصير بالنسقية³². إذ سعى الغزالي إلى تحقيق التكامل بدل التنافر بين حقول المعرفة المختلفة؛ سواء الأصيل منها أو المنقولة من تراث السابقين. لكنه تكامل مبني على سعة اطلاع، ووعي بالمعارف المختلفة وامتداداتها العقدية والفكرية والمجتمعية.. لبناء الحقيقة بناء منهجيا. يقول كمال القصير: "إن الحقيقة التي كان يسعى الغزالي خلفها سواءً أكانت دينية أم علمية، لم تكن لتقبل أن تكون حقيقة مهتزة أو شديدة الاحتمالية، خاصة أن الحقائق التي كانت تنشدها وتبناها وتروج لها فرق وطوائف ومجاميع تلك المرحلة الفكرية والعقدية كان يتم إلbasها بلبوس اليقين والمطلق، كما هو الحال مع الإسماعيلية والباطنية، التحدي الأكبر حينها للنسقية الغزالية".³³

هذه النسقية والتكامل كانت حلاً معرفياً لمشكلات الواقع، مكنت الأمة من مواجهة التيارات الباطنية والفلسفية الخصيمة للرؤية التوحيدية، مما جعل أثر ذلك واضحاً في توفير منظومة فكرية "تمثل عمق الفهم الصحيح للإسلام. فالنسقية الغزالية مثلت نقطة تحول هامة في طبيعة المذهب السني ومساره ووجوده في ظل الصراع الفكري والسياسي الذي اجتاحت العالم الإسلامي آنذاك".³⁴

ويمكن باختبار أي مؤلف من مؤلفاته المؤسسة أن نرى أثر التكامل والنسقية فيها. وهذا ما جعل البوطي يؤكد: "لقد كان من آثار ذلك كله، أنك تنظر فتجد أن كتاباته كلها تتسم بطابع كلي واحد، مهما تنوعت مضامينها واختلفت أو تباينت العلوم التي تعبر عنها، فطابع المحاكمة العقلية، والتنسيق والتقسيم، والتحليلات النفسية والفلسفية، هو الصيغة العامة التي تبرز في سائر مؤلفاته وكتاباته".³⁵

وبخاصة أن الغزالي لم يكن يكتب في برج عاجي منعزل، أو كان يكتب ليحصل على ترقية مهنية كما يحدث اليوم، ولا كان يشغل بفتنة دون أخرى، ولا بأهل العلم متناسيا عامة الناس. كما

أنه كان يخاطب كل أهل اختصاص. ذلك أنه كان صاحب مشروع إصلاحية للمعرفة والمجتمع والعمران. ولهذا نجد الغزالي بهذا العمق التكاملي يتوجه إلى الجميع، و"التكلم بالسنة كثيرة"³⁶ و"يتكلم في الأوقات كلها بجميع الألسن ولكل المريدين والطلابين والمحجوبين".³⁷

3. 1. مثال عن أثر التكامل المعرفي في كتابات الغزالي الأصولية

من حقل أصول الفقه يمكن أن نعتبر "كتاب المستصفى" أبرز عينة على أثر التكامل المعرفي في تراث الغزالي. وبخاصة أن الكتاب "من أواخر ما ألفه الإمام الغزالي، إن لم يكن آخر مؤلفاته على الإطلاق، وهو يعدّ من المؤلفات النادرة، بل الفريدة في علم أصول الفقه، ولا ريب أن من أهم ما يمتاز به عن كل ما كتب في هذا الفن تلك المقدمة التي وضع فيها بين يدي القارئ المنهج العقلي والنقلي للمعرفة، وكيفية صياغة الحد والبرهان، وفلسفة دلالات الألفاظ وضوابطها، ومدارك اليقين مع الفرق بين العلمي منها والوهمي".³⁸

قسّم الغزالي كتابه إلى: مقدمة وأربعة أقطاب، حيث جعل في المقدمة مباحث العلم والنظر والدليل وسمّاها: "حصر مدارك العلوم"، وقد بيّن فيها أنّها ليست من علم الأصول، ولكنّها بمنزلة المقدمة المنطقية لجميع العلوم. والملاحظ أن الغزالي في مقدمة "المستصفى" بدا بتصنيف للعلوم بناء على مبدأ التكامل، حيث رأى أن العلوم ثلاثة؛ منها ما هو عقلي محض، ومنها ما هو عقلي محض، ومنها ما يقوم على التكامل بين النقل والعقل. يقول الغزالي: "وأشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشرع، وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل فإنه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد".³⁹

وندرك من اطلعنا على المقدمة نفسها أن الغزالي كتب "المستصفى" بعد أن كتب في الفروع الفقهية، وفي التزكية والتربية والتصوف، وفي تدبر القرآن، كما كتب في الفلسفة والمنطق، وفي غيرها، ثم رأى أن يكتب هذا الكتاب بعد أن استوعب تلك العلوم، وألف فيها، ورأى أنّها تحتاج إلى كتاب يوطر النظر الاصولي ويضبط الاجتهاد. يقول الغزالي عن أهمية الكتاب بالنسبة للناظر فيه

أنه يحتوي "على جميع مقاصد هذا العلم ويفيده الاحتواء على جميع مسارج النظر فيه، فكل علم لا يستولي الطالب في ابتداء نظره على مجامعه ولا مبانيه فلا مطمع له في الظفر بأسراره ومباغيه".⁴⁰

وواضح أن المقدمة ما هي إلا تلخيص مركز لكتب الغزالي المنطقية مثل كتاب "محك النظر" وكتاب "معيان العلم".⁴¹ غير أنها موضوعة بطريقة منهجية تتكامل مع محتوى الكتاب وتقدم قواعد منهجية يستطيع بها الأصولي العمل مع الحكم والدليل والمصادر الشرعية. ولهذا "يخطئ من يتصور أن الغزالي لم يزد في عرضه لهذه المقدمة على أن ألصق طائفة من مباحث المنطق اليوناني بصدر كتابه هذا وجعلها فاتحة بحثه".

ومن اعتقد أن مقدمة المستصفى مجرد لصق لمبحث غريب عن الأصول، لا شك أنه لم يقرأ المقدمة قراءة فاحصة، ولم يزد عن استعراض عناوينها، وسبق حكمه عليها قبل قراءتها قراءة متبصرة⁴²، لأن الغزالي كما سبق القول قد قام بعملية تقريب للمنطق قبل أن يدرجه ضمن كتابه المستصفى في مقدماته المنهجية⁴³. ولأن الغزالي "صاغ في تلك المقدمة منهجاً علمياً للمعرفة، متحرراً وبعيداً عن المنطق اليوناني، وهو ذلك المنهج الذي تعتز به حضارتنا العربية الإسلامية أيما اعتزاز".⁴⁴

وهذا لا يجعل من الغزالي ناقلاً مشوها للمنطق نفسه، بل كما ذكرنا ما قاله طه عبد الرحمن عن آليات التقريب الغزالي للمنطق، أن الغزالي كان في بيئة تتجاذبها مدارس واتجاهات بعضها يستبعد المنطق وبعضها يتبناه بشكله كأنه نص مقدس، بينما لجأ الغزالي إلى نوع من المثاقفة النقدية مع هذا الحق المعرفي، وطبق عليه آليات "التشغيل" بدل "التعطيل". ولم يقف أمامه منبهاً، بل اختار منه بطريقة منهجية ما حوله إلى حقل منفك الارتباط عن خلفياته الفلسفية، وجعله غير مناقض لعقيدة التوحيد، بيان تحافت وجه منكري المنطق، ثم أخضها للآلية "التأسيس القرآني" بجعل أصول الاستدلال المنطقي مؤسسة على الوحي، ثم آلية "التأسيس الفقهي"، من خلال إبدال المصطلحات الفقهية مكان المصطلحات المنطقية، وإيراد الأمثلة الفقهية المنطبقة عليها.⁴⁵ ولذلك لم يعد المنطق بناء مصمماً مدرجاً بطريقة جامدة في المستصفى. بل "قد تجد فيها قواعد

واصطلاحات من المنطق اليوناني، ولكنها مفككة الأوصال، ومحولة إلى ما يشبه أنقاضاً أُدخلت في قوام بنیان مستقل لمنطق منهجي سديد".⁴⁶ وهنا "يتمثل الإبداع الفكري والتحرر العقلي في أن يتمتع الباحث بشخصيته المستقلة، ثم يتحصن بطاقة علمية ممتازة، ثم يفتح ميادين الأفكار والعلوم والفلسفات كلها فيلتقط منها الحق ويتجنب الباطل ويحذر منه، وتلك هي حقيقة المقدمة المنهجية التي أقام منها الغزالي مدخلاً إلى كتابه المستصفى".⁴⁷

كما يمكن أن نلاحظ أن الغزالي في مقدمة "المستصفى" وفي بقية فصوله، لم يكتف بتقريب المنطق وإدراجه ليتكامل منهجياً في بناء أصول الفقه، بل أدرج "علم الكلام" أيضاً من خلال مناقشاته لمسائل لها علاقة بالتصور العقدي وتبنى عليها قواعد أصولية واجتهادات فقهية.⁴⁸ وهو بهذا قام بالتكامل بمستويين⁴⁹؛ تكامل داخلي بين العلوم التي نشأت ضمن حقول المعرفة الإسلامية أصالة، وتكامل خارجي مع العلوم الأخرى الواردة من فضاءات ثقافية وحضارية أخرى كالمنطق. وإذا كان في التكامل الداخلي قام بعملية تداخل بحكم اشتراك حقول المعرفة الإسلامية في المصدرية والغاية، فإنه قام في التكامل الخارجي بالتقريب (النقد والمناقشة) ثم التكامل لاختلاف مصدرية العلوم واختلافاً غاياتها، مما اقتضى عملية "توطين" للمفاهيم والمصطلحات والمناهج والمضامين بما ينسجم مع فلسفة العلم الإسلامية.

3. 2. مثال عن أثر التكامل المعرفي في كتابات الغزالي الإصلاحية

في مقدمة كتابه "إحياء علوم الدين" يبين لنا الغزالي الحاجة العملية التي دعت به إلى تأليفه، وأن له دواعي عملية ضرورية، لغياب القدوة العلمية التي يتبعها الناس للتحقق بالطريق الآخرة، التي هي المقصد الأسنى للمؤمن. ولكن الغزالي يلاحظ أن هذا الطريق لا يمكن الوصول عبره بسلامة ما لم يتوفر الدليل؛ الذي هو العلماء، فيقول إنه من "غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدله الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون، وقد استحوز على أكثرهم الشيطان، واستغواهم الطغيان، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفاً، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، حتى ظل علم الدين مندرساً، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً".⁵⁰

هذه الصورة القائمة التي صور بها الغزالي واقع الوسط العلمي، يرجع الغزالي سببها إلى المنظور الجزئي للعلم الذي يحمله هؤلاء العلماء "المترسومون" الذين اهتموا بالرسوم والاشكال بدل روح العلم وأخلاقه. فيرى أن هذا الصنف من العلماء تسبب في رؤية تجزيئية للعلم، واعتبار العلم مجرد زينة يتزين بها هؤلاء أو يجادلون بها أو فذلكت الوعاظ لاستدراج العوام، مما قد يؤدي إلى المحرمات والغفلة عن طريق الآخرة. يقول الغزالي: "ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام، عند تماوش الطغام، أو جدل يتدفع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام".⁵¹

ولعل عبد الحميد أبو سليمان كان محقا حينما رأى أنه بالنظر في تاريخ امتنا نرى تجارب إصلاحية عديدة قام بها العديد من العلماء والمفكرين والقادة والساطين، ومن زوايا وغايات متعددة؛ دينية، وسياسية، ومدنية⁵². وتمثل تجربة الإصلاح التي قام بها الغزالي في الاحياء واحدة من تلك التجارب النوعية، التي اهتمت بالرؤية ووضوحها وبناء تصور لما ينبغي أن يتم إصلاحه. وهو ما ينبغي الانتباه له والتعلم منه لأن عدم وضوح الرؤية في جهود الإصلاح اليوم، يمثل جذر الأزمة. فامتنا اليوم ممثلة في قياداتها الفكرية والسياسية أصيبت بعدم وضوح في الرؤية الإسلامية. فعلى الرغم من المحاولات الحثيثة والبدائل المتعددة، سواء أكانت تاريخية أم دخيلة أجنبية، فإن "الرؤية المطروحة في العصور المتأخرة فيها تشوهات كبيرة".⁵³ ولا تزال غير واضحة.

ولهذا رأى أن عليه أن يستعيد للعلم أصالته وتكامله؛ فأصالته من خلال "ما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقها وحكمة وعلماء وضياء ونورا وهداية ورشدا"⁵⁴ لأنه "أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا".⁵⁵ اما تكامله فيتبين من خلال تقسيمه للكتاب، وجعله على أبواب أربعة هي العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات، ويسبقه مقدمة تبين مفهوم العلم وأهميته وحدوده وبنيته. ولهذا رأى البوطي بحث أن كتاب "إحياء علوم الدين" يعد من حيث شموله لمختلف العلوم الروحي والنفسي والسلوكية وغيرها "من أعاجيب المؤلفات النادرة في تاريخ التراث الإسلامي العربي، إنه في الحقيقة موسوعة علوم شتى، فقد ضم في ثناياه علم النفس،

والأخلاق، والاجتماع، والفلسفة، إلى جانب العلوم الإسلامية من عقيدة وفقه وتصرف (أعني علم أمراض القلب وعلاجاته)"⁵⁶.

ويؤكد البوطي ما قلناه عن أن الغزالي يتناول هذه العلوم ويوظفها توظيفاً تكاملياً، بقوله: "إلا أنك لا تجد هذه العلوم المختلفة المتنوعة منثورة فيه على انفراد، كمخزن ضم أصنافاً من البضائع المتراسة، وإنما صاغ منها الإمام الغزالي جوانب وأركاناً متناسقة متماسكة لبنيان علمي واحد أقام منه مجمّعاً للحقائق الإسلامية الكاملة التي لا مزيد عليها."⁵⁷

وهذا الكتاب الذي لاقي قبولاً عبر التاريخ، واعتبر مبادرة مبكرة لإصلاح الدين في تاريخنا الإسلامي يكشف عن أثر التكوين العلمي للغزالي، وعن انخراطه في إصلاح المجتمع. ولذلك فإن التكامل فيه بين واضح جداً، ذلك أن "الذي ينشد معرفة الغزالي الضليع في تحليل النفس الغائص في أسرارها والتمكن من علومها بوسعه أن يعرفه بهذه الصفة تماماً من خلال مطالعة كتابه إحياء علوم الدين، والذي ينشد معرفة الغزالي ذي الباع الواسعة في علم الاجتماع والأخلاق وفلسفتها ومقوماتها، فليبحث عنه في كتابه الإحياء، والذي ينشد معرفة الغزالي أستاذ التربية الإنسانية والمشخص بدقة لأمراض النفس التي تعصف بسعادة الفرد والمجتمع، والواصف لأدويتها وعلاجاتها وسبيل الوقاية منها، بوسعه أن يعثر عليه في هذا الكتاب ذاته: الإحياء، والأديب الذي يبحث عن الغزالي الكاتب، المحلل، الذي يقتنص بقلمه أدق المعاني وأعوصها، فإذا هي جليلة سائغة الفهم، مصوغة بأدق العبارات وأبسطها، مكسوة بأجمل الأساليب التي تنتزه عن الركافة والتعقيد، وتسمو على الصنعة والتكلف سيجده في كل ما يقع عليه من مؤلفاته المتنوعة، ولكن إن أبي أن يوجع رأسه بمسائل العلوم الدقيقة، فليتلّمسه في كتابه الإحياء فسيجد فيه السهل الممتنع سواء من حيث المضمون العلمي أم من حيث الصياغة والأسلوب."⁵⁸

غير أن ما يميز كتاب "إحياء علوم الدين" أنه صب اهتمامه، من حيث المضمون على المعارف السلوكية والفقهية⁵⁹، ومن حيث الامتدادات على معالجة الابعاد الفكرية والنفسية والسلوكية والاجتماعية، مما يعيد الحياة للدين بإحياء علومه على طريقة السلف في الجمع بين النظر والعمل، كما بيناه سابقاً.

إن أثر التكامل المعرفي الذي يجمع بين العلوم ف يتكامل ويجمع بين العلمي النظري والحياتي التطبيقي كان له اثر بالغة في التراث العلمي للغزالي وفي تجربته الإصلاحية، وجعله ينتقل بالعلم من دوائر ضيقة خاصة بالمتخصصين فيه ويحوله إلى أفق للإصلاح، وذلك في مستويين؛ المستوى الأول هو المستوى العلمي الذي أسهم في بناء تراتبية في التفكير ونسقية في ترتيب الأدلة كما فعل في "المستصفى" وأخرج النظر الفقهي من جزئيته إلى كليته، ومنحه القدرة على تحقيق "مقيار العلم" منطقيا. أما المستوى الثاني فهو مستوى تحقيق تغيير في حياة الناس من خلال "الإحياء" الذي كان دليلا منهجيا لكيفية إحياء علوم الدين وجعلها في بؤرة اهتمام الناس، برؤية تترك للعلم أثرا على إيمان وسلوك وعلاقات الناس فيما بينهم.

وهذا درس بليغ لنا اليوم في تحقيق ذلك، من خلال ربط المعرفة التي نوفرها في جامعاتنا ودارسنا بكليات تحفظ العلم من الابتذال، وتؤسس البنية الفكرية على أسس عقلانية علمية، ولكن في الوقت نفسه يكون لها أثر في تصورات الناس وسلوكاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية مما يحقق الحياة الطيبة التي جاء الإسلام لتحقيقها بين الناس.

الخاتمة: آفاق الاستفادة من التكامل المعرفي عند أبي الغزالي في البناء التربوي اليوم

ما يمكن أن نختم به هذه الورقة الموجزة، ونستفيد من درسنا لتجربة التكامل المعرفي عند أبي حامد الغزالي مجموعة من النتائج:

1. أن تحقيق التكامل المعرفي يقتضي بناء شخصية الباحث/ العالم بناء تكامليا، تحضر فيه مختلف العلوم التي تؤهله لذلك، مع ربط التكوين العلمي بسياق المجتمع ومشكلاته وقضاياها وتطلعاته. حتى لا يتشكل وعي الباحث/ العالم مغتربا عن واقعه أو جاهلا بسقف المعرفة التي ينتمي إلى حقلها أو حقولها. وبدون بناء معرفي متكامل للعالم نفسه أو الباحث، فغنه لا يستطيع أن يقود عملية التكامل؛ سواء في البحث العلمي أو في تدريس المادة العلمية أو في مباشرة عملية الإصلاح في الواقع على أسس تكاملية.

2. أن التكامل لا يتحقق دون تعمق في التخصص، فإن الغزالي ما كان له أن يقول في مختلف تلك الحقول المعرفية دون أن يكون فيها من المختصين. بمعنى أن التكاملية هي ثمرة للتعمق في التخصص، وللافتتاح على حقول معرفية متجاوزة. حتى لا تبقى معرفة سطحية، بل معرفة متخصصة مدججة في نسق واحد تتكامل فيه المعارف وتثمر حلولاً تراعي الأوجه المختلفة للموضوع. ولهذا فإن كثيراً من دعاوى التكامل المعرفي تهددها مشكلتان؛ مشكلة عدم اتقان التخصص الذي ينطلق منه الساعي إلى التكامل، وهذا يقوده على معرفة سطحية مجتزأة تؤدي إلى ضياع التخصص ذاته. أما المشكلة الثانية فهي وقوف التكامل عند الدعوى النظرية دون الممارسة العملية.

3. أن عملية التكامل تقوم على عملية مثاقفة إيجابية؛ وخاصة التكامل المعرفي مع العلوم من خارج دائرة المعرفة الإسلامية في مصدرها ومنهجها وغاياتها. وهذه المثاقفة الإيجابية عليها أن تتوسل إلى التكامل وهي مدركة للمنطلقات الوجودية التصورية، ولخصائص الثقافة الإسلامية، وغاياتها. حتى لا يقع في اغتراب مزدوج عن المعرفة الإسلامية أو المعرفة المتكامل معها، وبخاصة المعرفة المعاصرة التي تشكلت في بناها النظرية ومناهجها ومفاهيمها ومجالاتها في سياق حضاري غير إسلامي.

4. أن التكامل التربوي يسهم فيه جهتان؛ أولاهما الجهة العلمية التي تتكون من خبراء من تخصصات علمية مختلفة يتقنون تخصصاتهم (كما في حالة الجويني وغيره ممن تربى على يديه الغزالي)، وثانيهما الجهة المؤسسية (كما في حالة الوزير نظام الملك والمدرسة النظامية) التي توفر السياسات والأطر والمؤسسات والتمويل وتضع الرؤية البعيدة المدى التي تحقق التكامل، ويتحول إلى عمل مؤسسي وليس جهداً فردياً.

5. أن التكامل المعرفي مساران؛ أحدهما التكامل الداخلي بين حقول المعرفة الإسلامية التي تنطلق من التصور التوحيدي، ولكن تختلف فيما بينها في موضوعاتها ومناهجها ومفاهيمها، وتحتاج على التكامل بينها خروجاً من النظر التجزيئي. أما المسار الآخر فهو المسار التكاملي الخارجي بين حقول المعرفة الإسلامية وبين العلوم المعاصرة التي تشكلت في سياق حضاري

وفلسفي واجتماعي مختلف. وهذا المسار يحتاج إلى جهد مضاعف يعمل على توطين المعارف المعاصرة ضمن حقول المعرفة الإسلامية، وذلك يكون بوضع معايير/ مقاييس واضحة تجعل المسلمين يفتحون انفتاحا نقديا على المعرفة المعاصرة، ولكن مع إخضاعها لمنطق الحقيقة الإسلامية ولحاجات مجتمعاتنا الواقعية.

المصادر والمراجع:

1. أبو حامد الغزالي، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1993م.
2. أبو حامد الغزالي، ميزان العمل، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م.
3. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، د. ت.
4. أبو حامد الغزالي، الإحياء، بيروت: دار ابن حزم، 2005.
5. أبو محمد ابن حزم، رسالة في مراتب العلوم، ضمن رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج4، د. ت.
6. أبو محمد عفيف الدين الياضي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/ 1997.
7. أحمد الشرباصي، الغزالي والتصوف، بيروت: دار الجيل، 1975م.
8. الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، دمشق: المكتب الإسلامي، 1984.
9. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1983.
10. الفخر بن عساكر، تبیین كذب المفتري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ.

11. بلال شيبوب، "التكامل المعرفي بين الفلسفة وعلم الكلام وأصول الفقه من خلال المفاهيم الرحالة"، التفاهم، المجلد 17، العدد 64 (31 مارس/آذار 2019).
12. تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود مُجَد الطناحي وعبد الفتاح مُجَد الحلو، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
13. حسام الدين الألوسي، "تعددية وأنواع الخطاب عند الغزالي وموقفه من أصناف الطالبين وخصوصا علم الكلام والمتكلمين"، في مجموعة من الباحثين، أبو حامد الغزالي وأثره على الفكر الإنساني، أعمال الندوة العلمية لقسم الدراسات الفلسفية-بيت الحكمة، بغداد، 2011.
14. سعيد لخداري، "تداخل الأنساق المعرفية لمقام السامعين: البلاغة العربية والتداولية"، معارف، مجلد 14، عدد 1، (يونيو 2019).
15. سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف بمصر، 1965.
16. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/ 1985.
17. فتحي حسن الملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2012.
18. فتحي حسن الملكاوي، البناء الفكري: مفهومه ومستوياته وخرائطه، ط1، هيرندن-فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2015.
19. طه جابر العلواني، "التكامل المعرفي"، <https://alwani.org/?p=9626> تم الاسترجاع في 2024 / 2 / 29.
20. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012.

26. مُجَّد بن عمر، "التداخلية في العلوم الاسلامية: مقدمات أولية"، شبكة ضياء للمؤتمرات. <https://diae.net/17104> تم الاسترجاع يوم 20/1/2022.
27. مُجَّد سعيد رمضان البوطي، "الإمام الغزالي: ذو فكر منهجي فذ واختصاصات علمية شتى"، التراث العربي، مجلد 6، عدد 22، 1 يناير 1986.
28. مُجَّد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقة بين العلوم، بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2017.
29. نصر الدين بن سراي، "علاقة الرؤية إلى العالم بالتكامل المعرفي: مدونة الغزالي أنموذجا" مجلة نماء، عدد 1، خريف 2016، ص 236. <https://doi.org/10.59151/vi1.239> تم الاسترجاع في 15/8/2024.

30. Bakar, Osman. Classification of Knowledge in Islam, Kuala Lumpur: IIITC, 2006).

الهوامش:

- ¹ أحمد الشرباصي، الغزالي والتصوف، بيروت: دار الجيل، 1975م، ص 23.
- ² الفخر بن عساكر، تبين كذب المفتري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ، ص 291؛ الزبيدي، مُجَّد بن محمد الحسيني، إتحاف السادة المتقين، شرح إحياء علوم الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، بدون تاريخ. ج 1، ص: 6، وهذا القول نقله من كلام عبد الغافر الفارسي، لأنه أول من أرخ للغزالي. انظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود مُجَّد الطناحي وعبد الفتاح مُجَّد الحلو، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت ج 6، ص: 20.
- ³ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط 3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ/ 1985، ج 19/ ص 323.
- ⁴ المرجع نفسه، ج 19/ ص 323.
- ⁵ المرجع نفسه، ج 19/ ص 323.
- ⁶ ابن عساكر، تبين كذب المفتري، ص 291- 293؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج 4 ص: 102.
- ⁷ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 19/ ص 323.
- ⁸ المرجع نفسه، ج 19/ ص 323-324.

- ⁹ المرجع نفسه، ج 19/ ص 324.
- ¹⁰ الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، دمشق: المكتب الإسلامي، 1984؛ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1983، ص 86؛ فتحي حسن ملكاوي، البناء الفكري: مفهومه ومستوياته وخرائطه، ط 1، هيرندن-فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2015، ص 50؛ طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012، 13-17.
- ¹¹ الشاطبي، 1997، ص 43/1.
- ¹² أبو محمد عفيف الدين اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ / 1997، ج 3/ ص 130-133.
- ¹³ Osman Bakar, Classification of Knowledge in Islam, Kuala Lumpur: IIITC, 2006), pp. 203-222
- ¹⁴ محمد سعيد رمضان البوطي، "الإمام الغزالي: ذو فكر منهجي فذ واختصاصات علمية شتى"، التراث العربي، مجلد 6، عدد 22، 1 يناير 1986، ص 69.
- ¹⁵ كمال القصير، "بنية النظام المعرفي الإسلامي.. الغزالية نسقا"، 2023/3/6.
- <https://www.arrabita.ma/blog/%D8%A8%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B2%D8%A7%D9%84%D9%8A>
- تم استرجاعه يوم 2024/1/20
- ¹⁶ سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف بمصر، 1965، ص 9.
- ¹⁷ دنيا، المرجع نفسه، ص 9-10.
- ¹⁸ محمد إبراهيم الفيومي، الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت، ص 10.
- ¹⁹ عباس ارحيلة، "تربية الطفل عند أبي حامد الغزالي"، دعوة الحق، العددان 355-356، 2000.
- <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8666>
- ²⁰ نصر الدين بن سراي، "علاقة الرؤية إلى العالم بالتكامل المعرفي: مدونة الغزالي أمودجا" مجلة نماء، عدد 1، خريف 2016، ص 236.
- ²¹ محمد بن عمر، "التداخلية في العلوم الإسلامية: مقدمات أولية"، شبكة ضياء للمؤتمرات. <https://diae.net/17104> تم الاسترجاع في 2024/8/15
- ²² الاسترجاع يوم 2022/1/20؛ وانظر: فتحي الملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: "2012.
- ²² محمد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقة بين العلوم، بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2017، ص 10.
- ²³ ابن حزم، رسالة في مراتب العلوم، ضمن رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 4/ ص 90.

²⁴ سعد لخزاري، "تداخل الأنساق المعرفية لمقام السامعين: البلاغة العربية والتداولية"، معارف، مجلد 14، عدد 1، (يونيو 2019)، ص702.

²⁵ طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012، ص339-380.

²⁶ محمد الناصري، الجمع بين القراءتين والمنهج التوحيدي للمعرفة.. قراءة في المتن الفكري لطله جابر العلواني. أنظر:

<https://www.arrabita.ma/blog/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%B9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%AD%D9%8A%D8%AF%D9%8A/>

تم الاسترجاع يوم 10 يناير 2022

²⁷ ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج4/ ص77.

²⁸ أبو حامد الغزالي، ميزان العمل، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م، ص209.

²⁹ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، ج1: ص51 و52

³⁰ الغزالي، الإحياء، بيروت: دار ابن حزم، 2005، ص24.

³¹ البوطي، الإمام الغزالي، ص70.

³² القصير، بنية النظام المعرفي الإسلامي، مرجع سابق.

³³ القصير، المرجع نفسه.

³⁴ القصير، المرجع نفسه.

³⁵ البوطي، الإمام الغزالي، ص70.

³⁶ حسام الدين الألوسي، "تعددية وأنواع الخطاب عند الغزالي وموقفه من أصناف الطالبين وخصوصا علم الكلام والمتكلمين"، في

مجموعة من الباحثين، أبو حامد الغزالي وأثره على الفكر الإنساني، أعمال الندوة العلمية لقسم الدراسات الفلسفية-بيت الحكمة،

بغداد، 2011، ص10.

³⁷ الألوسي، المرجع نفسه، ص10.

³⁸ البوطي، الإمام الغزالي، ص70.

³⁹ أبو حامد الغزالي، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/

1993م، ص4.

⁴⁰ المصدر نفسه، ص4.

⁴¹ المصدر نفسه، ص5-7.

⁴² لعل من أبرز من تصور ذلك وتسرع في هذا الحكم تقي الدين بن الصلاح. انظر طبقات الشافعية لابن السبكي 220/6.

⁴³ طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص339-380.

⁴⁴ البوطي، الإمام الغزالي، ص71.

⁴⁵ طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، د.ت، ص339-380.

- ⁴⁶البوطي، الإمام الغزالي، ص71.
- ⁴⁷المرجع نفسه، ص 71.
- ⁴⁸الغزالي، المستصفى، ص 6-51.
- ⁴⁹طه عبد الرحمن، تجديد المنهج، ص 75-76؛ بلال شبيب، "التكامل المعرفي بين الفلسفة وعلم الكلام وأصول الفقه من خلال المفاهيم الرحالة"، التفاهم، المجلد 17، العدد 64 (31 مارس/آذار 2019)، ص271.
- ⁵⁰أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ج1، ص2.
- ⁵¹المصدر نفسه، ص 2.
- ⁵²أبو سليمان، عبد الحميد. انخيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها: الجذور الثقافية والتربوية، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2016، ص 100.
- ⁵³لخلافة، "عبد الحميد أبو سليمان"، مرجع سابق.
- ⁵⁴المصدر نفسه، ص2.
- ⁵⁵المصدر نفسه، ص 2.
- ⁵⁶البوطي، الإمام الغزالي، ص75.
- ⁵⁷المرجع نفسه، ص75.
- ⁵⁸المرجع نفسه، ص70.
- ⁵⁹طه جابر العلواني، التكامل المعرفي، <https://alwani.org/?p=9626> تم الاسترجاع في 2024 /2/29.